

اسم المحاضرة: نسب معاوية وابرز معالم سياسته الاقتصادية وسياسة التفرقة .

هو أبو عبد الرحمن معاوية بن ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

إسلامه:-

أسلم معاوية بعد فتح مكة، بينما أسلم أبواه يوم الفتح وكانوا من المؤلفة قلوبهم، ولم يشهد حينئذ فلم تذكر المصادر التاريخية المعتمدة إلا ما ورد عن ابن حجر في كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٣، ص ٤٥١).

أبرز معالم سياسة معاوية:-

أما أبرز معالم السياسة التي اتبعها معاوية في تنفيذ ما يصبو اليه من تردي الاوضاع عقائدياً واخلاقياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً

تتمثل في:

اولاً: سياسته الاقتصادية

كان تصرف معاوية في جباية الاموال وانفاقها خاضعاً لرغباته وأهوائه. فهو يهب الثراء الكبير للمؤيدين له ويحرم معارضيه من العطاء ويأخذ الاموال والضرائب بغير حق حتى شاع الفقر والحرمان عند الأكثرية الساحقة من المسلمين وهذه بعض الخطوات الرئيسية في سياسته الاقتصادية:

أ- الحرمان الاقتصادي:-

فقد شاع الحرمان الاقتصادي في الاقطار التي كانت تضم الجبهة المعارضة له مثل المدينة المنورة، لأن فيها الكثير من الشخصيات المعارضة لبني أمية. فقد أجبرهم على بيع أملاكهم واشتراها منهم بثمن بخس، فقد ولي عليهم مروان ابن الحكم تارةً وسعيد بن العاص تارةً أخرى وكان يعزل الاول ويولي الثاني، وقد جهد الاثنان في إذلال أهل المدينة وإفقارهم وكذلك الكوفة، فقد فرض عقوبات اقتصادية عليها بصفتها المركز الرئيسي للمعارضة، وكان والي الكوفة المغيرة بن شعبة يحبس العطاء والأرزاق عنهم.

ولقد سار الحكام الأمويون بعد معاوية على هذا النهج في اضطهاد أهل الكوفة وحرمانهم باعتبارهم شيعة لأمر المؤمنين علي بن ابي طالب (ع).

ب- استخدام المال لتثبيت ملكه:-

استخدم معاوية بيت المال لتثبيت ملكه وسلطانه واتخذ من المال سلاحاً يمكنه من التسلط على الأمة. فهو أداة فعالة للإرهاب وللتقريب، فحرم منه فئة من الناس وأغدق اضعافاً مضاعفة لطائفة اخرى ثمناً لضمائرهم وضمناً لصمتهم، فقد جعل مصر طعمة خاصة لعمرو بن العاص ما دام حياً يتصرف بها كيف يشاء.

ج- شراء الذمم:-

لقد فتح معاوية باباً جديداً في سياسته الاقتصادية وهي شراء الذمم، فقد اعلن وبكل وقاحة ((والله لأستميلن بالأموال ثقات علي، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياي آخرته)).

د- ضريبة النيروز:-

وهي بدعة فرضها على المسلمين من غير دليل في الشريعة الاسلامية ليسد بها نفقاته فبالغ في إرهاب الناس واضطهادهم على ادائها، فبلغت عشرة ملايين درهم، زهي من الضرائب التي لم يألفها المسلمون، وقد اتخذها الحكام من بعده سنةً فأرغموا المسلمين على ادائها.

ثانياً: سياسة التفرقة

بني معاوية سياسته على تفريق كلمة المسلمين إيماناً منه بأن الحكم لا يستقر إلا بإشاعة العداء بين أبناء الأمة الاسلامية، وشملت هذه السياسة ناحيتين:

أ- اضطهاد الموالي:-

وهم المسلمون من غير العرب الذين بالغ معاوية في اضطهادهم وإذلالهم، وقد رام أن يببدهم إبادة شاملة، لذا بدا منهم المواقف العدائية للمسلمين عامةً، وكان السبب في ذلك يعود الى امتهانهم وارهاقهم بالضرائب وفرض الجزية والخراج عليهم.

ب- العصبية القبلية:-

أحيا معاوية العصبية القبلية، وقد ظهرت في الشعر العربي صور مريضة ومؤلمة من ألوان الصراع التي كانت السلطة الأموية تختلقه لإشغال الناس عن التدخل في الشؤون السياسية، فقد عمد معاوية الى إثارة الأحقاد القديمة بين الأوس والخزرج محاولاً التقليل من أهميتهم وإسقاط مكانتهم، كما تعصب لليمنيين على المضربين، وأشعل نار الفتنة فيما بينهم حتى لا تتحد كلمتهم فتضر مصالح الدولة. وقد تقمصت هذه العصبية القبلية شكلاً دينياً حينما أخذت القبائل تسعى الى اختراع الاحاديث في فضلها وتنسبها الى النبي (ص)، فكم من أحاديث وضعت في فضل قريش والأنصار وأسلم وغفار والأشعريين والحميريين وجهبنة ومزينة.

ثالثاً: سياسة البطش والجبروت

ساس معاوية الأمة الاسلامية بسياسة البطش والقمع، فاستهان بمقدراتها وكرامتها، فقد اعلن بعد الصلح انه قاتل المسلمين وسفك دماهم كي يتأمر عليهم، وقال:

((نحن الزمان، من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع)).

وسار عماله وولاته على نفس منهجه هذا وحتى من جاء بعده من ولاية بني أمية، فقد جاء في خطاب لخالد القسري في أهل مكة: ((إني والله ما أوتي لي بأحد يطعن على إمامه "يعني معاوية" إلا صلبته في الحرم)).

وقد نصّ المؤرخون على ان سياسة البطش والإرهاب بلغت حداً جعلت الرجل يفضل ان يقال عنه زنديق او كافر ولا يقال عنه انه من أتباع علي (ع)، وكان الناس يخافون من النطق باسم الامام علي (ع) حتى فيما يتعلق بأحكام الدين التي لا ترجع الى الفضائل التي كان الأمويون يخشون شيوعها، فكانوا يقولون: ((روى ابو زينب))، وكتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة: ((أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً وبرؤون منه، ويقعون فيه ومن اهل بيته)).

وكان أشد الناس بلاءً حينئذٍ اهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي (ع)، واستعمل عليهم زياد بن ابيه فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام خلافة علي بن ابي طالب (ع)، فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم ونفاهم عن العراق. وكذلك فعل سمرة بن جندب في البصرة والمدينة بعدما اسرف إسرافاً لا حدود له.

وأجمل ذلك الامام محمد الباقر عليه السلام بقوله: ((وقتلنا شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكل من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن او نُهبت امواله او هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد الى زمان عبيد اللع بن زياد اتل الحسين عليه السلام)).

رابعاً: التخدير باسم الدين وشل الروح الثورية

المصدر: أحمد امين، فجر الإسلام ، مصر